مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: روايات الأصمعي عن فصاحة الأعراب: دراسة نقدية في معقوليتها ومرجعياتها الحجاجية
اسم الكاتب: فايز مد الله الذنيبات
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/8911
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 22:36 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
ملتقى الحضارات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية



المجلد 13 ، العدد 2

ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2016 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

□□□□□□□ □□□□.indd 1 2/8/17 10:05 AM

رِوَايَات الأَصْمَعِيَّ عَنْ فَصَاحَةِ الأَعْرَابِ:
دراسة نقدية في معقوليتها ومرْجِعِيْاتُتها الحِجَاجِيّةُ

فايز مد الله الذنيبات

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة جازان

جازان - المملكة العربية السعودية

تاريخ الاستلام 2015-12-27 **تاريخ القبول 2016-04-26**

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى سبر أغوار ظاهرة الرواية الأصمعية من خلال منهج نقدي سياقي- يحاول استكناه ما وراء كثير من الروايات من مرجعيات حجاجية، فضلا عن رد كثير منها بعد نقدها من جهة سياقية. وذلك أن روايات الأصمعي مفرقة في مئات الكتب، لكننا عندما نقوم بفرزها بناء على موضوعاتها يتبدى للناظر فيها بطلان بعضها لمجرد النظر؛ لأنها تقوم على تكرارات كثيرة غير معقولة. وقد هدف البحث إلى إثبات ظاهرتين تعلقتا بروايات فصاحة الأعراب التي وصلتنا منسوبةً إلى الأصمعي. أما الأولى فهي إظهار أن لهذه الروايات مرجعياتٍ حجاجيةً فيما يتصل بالرد على الشعوبيين الذين اتخذوا من الأعراب نموذجا للهجوم على العرب والعربية. والثانية هي: ضعف كثير من هذه الروايات بناءً على معقوليتها وموافقتها لسياق الواقع، أو التحقيق في نسبة الرواية لمصدرها. وقد تضمن البحث ترجيحاتٍ لبعض الروايات وإظهارا لتهافت بعضها الآخر. وقد اختارت الدراسة الروايات التي تدعم مفهوم الأصمعي للفصاحة؛ فهو لا يروي المُلح والنوادر إلا من باب مطابقتها لمعايير الفصاحة عنده.

الكلمات الدالة: روايات الأصمعي، نقد الرويات الأدبية، الفصاحة، المرجعيات الحجاجية.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 88 2/8/17 10:06 AM

مقدمة:

الحمد لله مودع أمانة العقل عند الإنسان، الممتن عليه بنعمة البيان، الجاعل مناط التكليف رهنا باللُّب والجَنَان، والصلاة والسلام على المصطفى المبعوث بالقرآن وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان. وبعد.

فقد غصت كتب التراث العربي –على اختلاف مشاربها- بآلاف الروايات المنسوبة للأصمعي، وقد تعددت موضوعاتها بين لغوية وتاريخية ونقدية وحديثية، وبين ما يختص بالأنساب والتراجم وغيرها، وكان من بين هذا العدد الكثير من الروايات جانب اختص بإظهار فصاحة الأعراب والإخبار عن ثقافتهم وما يمتازون به من سعة في التعبير. وقد نقل الأصمعي كل ذلك من خلال مواقف وحوارات درامية شاء من خلالها أن ينفض الغبار عن كنز ثمين.

وقد ارتبط اسم الأصمعي بمُلح الأعراب ونوادرهم، والمتأمل فيما نُقل عنه من نوادر يتناهى إليه أن الرجل كان يهدف من وراء ذلك إلى ترسيخ صورة التفوق العربي، وذلك يدعونا إلى تخمين أن هذه الصورة ربما تزعزعت، أو تعرضت للتشويه والانتقاص. والأصمعي لم يشأ أن يدخل صراعا غلب على السوقة من الناس وعُرف بصراع الشعوبية، وقد حاول المثقفون أن يترفعوا عنه -وإن ولج فيه طائفة منهم- ولكنه في الوقت نفسه قام بالرد على مزاعم الشعوبيين من جهة إظهار سمو العنصر العربي، كما عدل عن تبخيس الأطراف الأخرى إلا نادرا. ومن هنا سعت هذه الدراسة –من خلال منهج نقدي سياقي- إلى استكناه ما وراء كثير من الروايات من مرجعيات حجاجية، فضلا عن رد كثير منها بعد نقدها من جهة سياقية. وذلك أن روايات الأصمعي مفرقة في مئات الكتب، لكننا عندما نقوم بفرزها بناء على موضوعاتها يتبدى للناظر فيها بطلان بعضها لمجرد النظر؛ لأنها تقوم على تكرارات كثيرة غير معقولة، وذلك قد يوحي أنها وضُعت على لسان الرجل.

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد ومبحث واحد. استقل التمهيد بالحديث الموجز عن مفهوم المرجعيات الحجاجية، ثم عن الرواية الأصمعية ودوافعها ومعايير الأصمعي للفصاحة. في حين حمل المبحث عنوان: المشاهد المتكررة، وانقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: مشهد فصاحة المحتضر وصفاء بديهته. والمطلب الثاني- مشهد الأعراب والقرآن. والمطلب الثالث: مشهد النساء الأعرابيات.

وقد اكتفت الدراسة بكتب الأدب العربي القديمة التي مثّلت مصادر الدراسة ولم تنحُ للكتب الحديثة؛ لأنها تتناول ظاهرةً في روايات الأصمعي لم يُعنَ بها المحدثون – في حدود اطلاع الباحث.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 89 2/8/17 10:06 AM

التمهيد:

أولا: ترجمة الأصمعي:

هو :«عبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى الأصمعي، كنيته أبو سعيد، من أهل البصرة، يروي عن بن عون، روى عنه الناس، مات سنة خمس عشرة ومائتين، ليس فيما يروي الحديث عن الثقات تخليط إذا كان دونه ثقة، وإن كان ممن أكثر الحكايات عن الأعراب» (ابن حبان، :389). وقد تداولت أغلب التراجم الترجمة للأصمعي. إذ وقعت ترجمته في التراجم الأدبية وطبقات المحدثين، والنحويين وغيرهم. وجاء في ترجمته: وهو«أحد الإخباريين والأئمة الصدوقين. قال أبو داود: الأصمعي صدوق. وقال ابن معين: لم يكن ممن يكذب. وقال الأزدي: ضعيف الحديث. وروى له حديث أحمد بن عبيد بن ناصح، عن الأصمعي، عن ابن عون، عن محمد، عن أبي هريرة - أن النبي ﷺ لما كُفّن زر عليه قميصه. وهذا حديث منكر» (الذهبي، ج-2ص:662). وجاء في ترجمته أيضا:« وقال إبراهيم الحربي كان أهل البصرة أهل العربية منهم أصحاب الأهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي. وقال أبو العيناء قال الجاحظ: كان الأصمعي منانيا[1] فقال له العباس بن رستم: لا والله ولكن تذكر حين جلست إليه تسأله فجعل يأخذ نعله بيده وهي مخصوفة بجريدة ويقول نعم قناع القدري نعم قناع القدري. فعلمت أنه يعنيك».(المزي، ج-18ص:388).

ثانيا: حول مفهوم المرجعيات الحجاجية:

يُقصد بالمرجعيات الحجاجية للرواية: أن الرواية الأدبية قد جيء بها خدمةً لأغراض حجاجية تخص الجدل والصراع مع الشعوبيين، إذ تمثل الرواية نقلا لحجج الأعراب في الدفاع ضد مزاعم الشعوبيين على ألسنتهم، من خلال إظهار ما تميزوا به عن غيرهم من الأمم والمجتمعات. وفي هذه الحالة لا تكون الرواية مقصودةً لذاتها بل لما تتضمنه من أبعاد دعائية وحجاجية. والحجاج عادةً ما يقتضي التركيز على ما تفرّد به القوم من صفات، ثم محاولة تسويغ ما وُصموا به.

ثالثا: منطلقات الرواية عند الأصمعي:

تنحو روايات الأصمعي بالقارئ إلى نوع من الاستدراج المنطقي المتسلسل الذي يقترب في دعواه من أن حضارة العرب والمسلمين-وقتذاك- قد تغلّبت على غيرها من الأمم، وقد كان

(1) منانـي: كما قالوا منانـي في النسبة إلى ماني، والقياس مانوي. وهي الديانة الفارسية الوثنية. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (دت)، ج-13ص:110

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 90 2/8/17 10:06 AM

أساس غلبتها القرآن، والقرآن نص إلهي بلسان عربي؛ لذا فالأعراب يقعون في صدارة هذا اللسان وهم أملك الناس له، وعلى الرغم من أن كثيرا منهم ليس على دراية كافية بالقرآن إلا أنهم أقدر الناس على فهم غاياته. فالأعراب –وإن فاتتهم المدنية في مظاهرها- إلا إنهم بمنزلة الجذور التي تثبت الشجرة وتمنحها الحياة. ولا يحق لأي أحد الانتقاص منهم. ولا عجب في ذلك حين نجد جانبا من روايات الأصمعي مُنصبّا على موقف الأعرابي من القرآن، وكيف أنه ينغمس في فهمه إلى حد لا يجاريه فيه مجار. هذا ما لم يقله الأصمعي صراحةً، لكنه سعى إلى ترسيخه من خلال إغراق آذان المتلقين برواياته عن الأعراب. تلك الروايات التي شاعت وانتشرت في حقبة اشتداد هجمات الشعوبيين على الثقافة العربية. لكنها نُقلت إلينا من غير سياقها التاريخي الذي وُلدت فيه. ومن غير شهرة الأصمعي كأحد الذين جابهوا الشعوبية ودافعوا عن الثقافة العربية، كالجاحظ وابن قتيبة مثلا، على أن كثيرا من هذه الروايات يظهر بطلانها وعدم معقوليتها.

وقد يتبدى للناظر في هذه المعارف أن الذي استدعى مدح الأعراب بهذه الكثافة هو تلهف المتلقين لسماع هذا النوع من الروايات. وعلة تلهفهم تتعلق بالهجوم على العرق العربي والميراث الحضاري والثقافة العربية. وكان هذا الهجوم محركا لتوحد العنصر العربي دفاعا عن الهوية. وهذا الأمر لا نكاد نجده في الحقبة الأموية التي شهدت نيل العرب من بعضهم بعض؛ لعدم وجود غيرهم على ساحة الصدارة، وهذا الذي يفسر انتشار الهجاء القبلي في الحقبة الأموية، وانتشار الهجاء العرقي والفخر العرقي في الحقبة العباسية. وقد استغل بعض الشعوبيين الهجاء القبلي زمن الأمويين في إبراز مثالب العرب، كما نسب إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى في عنايته وشرحه لنقائض جرير والفرزدق[1]. وقد كان ذلك كله رهنا بسياسات الدول التي تصنع الصراعات، فيتولد السياق التاريخي للظواهر والأحداث ومنها: ظاهرة الرواية الأصمعية، والتأليف عند الجاحظ، فكلاهما تحركا بفعل السياق التاريخي للأحداث. وكان هم الأصمعي إثبات براعة العرق العربي وامتيازه بالشمائل والذوق والفطنة والبديهة وقوة الحجة وفصاحة اللسان وإصابة كبد المعنى. وكلها أمور جوهرية لا تتعلق بالمظاهر الشكلية ولا بالمنجزات المادية. وقد جعل الأصمعي من فصاحة العرب عنوانا عريضا يدلل على كل الخصال الحميدة. ولو تتبعنا الحقول الدلالية التي تنتمي إليها روايات الأصمعي عن الأعراب لوجدناها تكاد تنحصر في الموضوعات الآتية: الدفاع عن الهوية البدوية من خلال إبراز سمات: الذكاء والفطنة والقناعة ومكارم الأخلاق. ثم الحديث عن الأمية لا تعني غياب الفكر أو الذوق. وكذلك محاولة جعل الموروث الأدبي حاملا للمعارف، وأخيرا جعل القيمة الأخلاقية هي المرجعية الإنسانية السامية التي تتجاوز التحضر غير الأخلاقي. وكلها مفاهيم حجاجية بالدرجة الأولى.

(1) انظر في هذا المجال: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، (دط) 1960، ص: 155.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 91 2/8/17 10:06 AM

رابعا: الغاية من صناعة الرواية:

قد يستدعي المقام الحجاجي طرفي نقيض افترقا عند فكرة، وأخذ كل طرف يسعى إلى تمكين رأيه بالأدلة وتضعيف رأي غيره، ويتم هذا الحجاج عادة إذا كانت الرسالة موجهةً إلى متلق معين. وقد يدخل في ثنايا هذا الحجاج ما يمكن تسميته بـ(الحجاج المسبّق) أو المفترض. وفي هذا النوع من الحجاج نتعرف على أفكار تمثّل دفاعا ضد أفكار مضادة يُفرض أنها ستوجد، أو أنها وُجدت وغاب عنا سياقها التاريخي.

لعل الغاية الأولى من صناعة الرواية غاية حجاجية قوامها الرد على الشعوبية وإبراز فضائل العرق العربي[1]. ثم تطورت الغاية إلى المنفعة المادية في بلاط السلاطين مضافة إلى الشهرة، فأصبح للعناية بصناعة الرواية أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية. ويُعد إقبال الكتب الأدبية المختلفة على الولع بروايات الأصمعي من باب اتخاذها نموذجا للفصاحة الفطرية والسليقة العفوية من منظور الأعراب. وحين ذاع صيت الأصمعي في رواية المُلح -التي تعكس مفهومه للفصاحة زاد احتياجه إلى الجديد منها، إذ كانت الوسيلة في ذلك -حسب اعتقادنا- هي الوضع-إذا صحّت نسبة الروايات إليه. لذلك نجد كتب التراجم تبدأ ترجمته بهذه المقولة:«وقال الأصمعي: وُصلت بالعلم وكسبت بالمُلح» (الجاحظ: ج-3ص:463). ومن هنا كانت المُلح مصدر كسب كما يروي عن نفسه[2].

خامسا: معايير الفصاحة عند الأصمعي:

يُعدُّ انتقاء الرواية عند الأصمعي قائما على مفهومه للفصاحة؛ فهو لا يروي المُلح والنوادر إلا من باب مطابقتها لمعايير الفصاحة عنده، وينبع مفهوم الفصاحة عنده من قوة الاحتجاج وإصابة كبد المعنى، مع إيجاز جميل، والمعول عنده على الاحتيال للمعنى من حيث مغايرته للمألوف، أو مفاجأة المتلقي بما لا يتوقعه من خطاب مألوف. وعلى هذا

(1) انظر في هذا المجال: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر،ط7، 1988، ص: 393

(2) وقد جاء في ترجمته أنه كان يُتهم بوضع الروايات. فمن ذلك:« وقال كنت عند الرشيد فشرب ماءً بثلج فاستطابه، فقال: الحمد لله، ثم قال لي: أتحفظ في هذا شيئا يا عبد الملك؟ فقلت نعم، وأنشدته:

وشربة الثلج بماء عذب تستخرج الشكر من أقصى القلب
شكرا من العبد لنعمى الرب

فقال لي: يا أصمعي ما سُمع بمثلك، قلت فالناس معذورون فيه إذ قالوا: إنه يضع، فإن هذا الاتفاق لاستحضار الأبيات بعيد، فهو إما أن تكون الواقعة قد وضعها، وإما أن يكون الشعر ارتجله وهو أعظم، وقال لا ينبغي للإنسان أن يدخل على الملوك بغير الملح من الشعر، فإن الرشيد أعطاني في أبيات أنشدته في ليلة ثلاثة آلاف دينار» ، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفى: 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، (دط) 1420هـ- 2000م، ج-19ص:129

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 92 2/8/17 10:06 AM

الأساس بنى الأصمعي رواياته عن الأعراب في تفليق الحجج، وتقوية موقف المتكلم. وكل هذا يعود إلى تعريفه للبلاغة، فهي عنده: « لهجة صوالة، وهي سرعة الحز وإصابة المفصل» (أبو حيان التوحيدي، ج-5 ص:154). وهي تعود إلى قوة الحجة وسرعة البديهة والقدرة الفائقة على الجدل بما لا يترك للمقابل إلا التسليم. وقد أُثر عنه عدة روايات في نظرته للفصاحة تصب كلها في المنحى نفسه. يقول مثلا:«قال الأصمعي: سُئل عبيد الله بن عتبة عن الفصاحة فقال: دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقدح المراد، وقليل من كثير» (أبو حيان التوحيدي: ج35-2). وفي هذا التعريف يتجلى المفهوم الحجاجي بشكل أوفى في وصفه: (قرع الحجة) وفي عدم الاكتراث بجمال الصياغة، وإنما عنى بدنو المأخذ: سهولة بسط المعنى وطرحه بطريقة لا تحتمل التعقيد. وفي هذا المعنى نفسه نجد له مروية أخرى جاء فيها:« سمعت الأصمعي يقول: ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان، ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب» (البستي، ص:222). وفي هذا يظهر الجزء المهم من نظرة الأصمعي إلى الفصاحة وهو: المعنى، من حيث قوته وغرابته ومناسبته للسياق، وقدرته على قلب المفاهيم. لذلك سنجد أن الأصمعي يركز في رواياته وملحه ونوادره على قدرة الأعراب في استحضار المعنى الذي يأتي كحجة دامغة في سياقه. فمن ذلك مثلاً:« قال الأصمعي: اتخذ أعرابي كلباً فقيل له: أما علمت أن الملائكة لا تدخل داراً فيها كلب؟ قال: وما أصنع بالملائكة؟ يرون أسراري ويحصون علي ذنوبي» (أبو حيان التوحيدي، ج-6 ص:78). فبمثل هذا الرد المفحم -الذي يضعف حجة المدعي- يسعى الأصمعي إلى ترسيخ مفهوم الفصاحة. وإن في مثل هذه الرواية مغالطةً تقلب الحجة على مدعيها فلم يدافع عن اقتناء الكلب وإن هاجم فائدة حضور الملائكة. ومن هنا يشعر القارئ لروايات الأصمعي بتقارب أسلوب كثير منها حتى ليُخيّل إليه أنها من صنع شخص واحد، لأنها تشترك في ما يجعلها الأصمعي عنوانا للفصاحة وهو: الاحتيال للمعنى والمحاجّة القوية.

المبحث الأول: المشاهد المتكررة :

ينحو هذا الفصل من الدراسة إلى تضعيف كثير من الروايات المنسوبة للأصمعي -فيما يخص فصاحة الأعراب- من خلال سياقات غير واقعية. فثمة تكرارات في الروايات المنسوبة للأصمعي لمشاهد تتغير فيها أسماء الشخصيات والنصوص بينما يظل القالب الفني للحكاية شبه ثابت. ومثل هذه المشاهد المتكررة إذا نظرنا إليها نظرةً شموليةً يداخلنا قلق الشك في نسبتها للراوي، وإذا قمنا بمحاكمتها بناءً على سياق الواقع تظهر التهافت فيها من جهات عدة، وذلك لقيامها على خلق المصادفات الغريبة. ونظرا لضيق مساحة الدراسة سنقتصر على ذكر عدد من المشاهد المتكررة فقط، والاقتصار على ذكر عدة روايات للمشهد الواحد أيضا. ولكننا نستطيع تقدير الأسباب التي دعت إلى وضعها

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 93 2/8/17 10:06 AM

وتناقلها. أما المشاهد فهي على النحو الاتي:

المطلب الأول: مشهد فصاحة المحتضر وصفاء بديهته:

دائما ينتهي المشهد الدرامي المأساوي لخروج روح الشخصية عند الأصمعي بحضور الراوي وشهادته على فصاحة بيت أو مقولة: تتذيل بها حياة الشخصية. وتنتهي الحكاية. أو قد يرويها له راوٍ ثانٍ فيصادق على تلك النهاية العجيبة. وفي تاريخنا الأدبي عموما روايات عجيبة عن نهايات الشعراء ومصارع العشاق منهم على وجه الخصوص تدخل باب الغرائب. والناظر في وفيات الشعراء والمشاهير في كتاب الأغاني أو غيره يجد من السير الشيء العجيب؛ فشاعر يقتله الشعر كالمتنبي، وكاتب تقتله الكتب كالجاحظ. ولا شك أن في مثل هذه الروايات صناعةً دراميةً[1]. ومن هذا المنطلق تسوق إلينا كتب الأدب كمّا هائلا من القصص -التي شهدها الأصمعي أو كان أحد رواة سندها- تُقحم على عقل المتلقي غرائب المصادفة بما يتنافى مع سياق الواقع. ولعل ولع الأصمعي –إن صحّت نسبة الروايات له- في نشر مثل هذه يرجع إلى ترسيخ مبدأ الفصاحة التي تصدر عن سليقة لا يحدها حاد حتى لو كانت نفس صاحبها تصارع الموت.

ومما يدعو إلى الاستغراب تصوير مشاهد الاحتضار لبعض الشخصيات؛ إذ تتجلى قرائحهم بالنظم المؤثر، وحين تبلغ أبياتهم آذان الراوي تفارق أرواحهم الأجساد. في سياق مناف لبديهيات الحياة. فالمحتضرون وهم يدفعون الموت وتتحشرج حناجرهم لا يُعقل أنهم سيكونون قادرين على الاسترسال بالقول المؤثر. ولعل مبعث مثل هذه الروايات المصنوعة أمران: الأول: تعزيز تمييز العرق العربي بالفصاحة وحضور البديهة دون تكلف حتى في أصعب لحظات العمر حرجا وهي خروج الروح. أما الأمر الثاني: فهو الانتفاع المادي برواية مثل هذه الأخبار عن العشاق في مجالس السادة، لا سيما وأن شهادة الأصمعي في بعضهم أنه كان يحب أخبار العشاق. كما جاء في إحدى الروايات« حدّث

(1) انظر على سبيل المثال: ما ذكره صاحب الأغاني في وفاة ليلى الأخيلية: «أن ليلى الأخيلية أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة -ومعها زوجها وهي في هودج لها- فقالت والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلم به، فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة فقالت: السلام عليك يا توبة، ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفت له كذبة قط، قالوا وكيف قالت أليس القائل :

ولـــــــو أنّ ليلَى الأَخْيَلِيّةَ سَلَّمتْ علـــــــيّ ودوني تُرْبةٌ وصفائحُ
لَسَلَّمْتُ تسليمَ البشَاشةِ أو زَقَـــــا إليها صَدًى من جانب القبر صائح
وأُغْبَطُ مـــــــن ليلَى بما لا أنالُه ألاَ كُلُّ ما قَرَّتْ بـــــه العينُ صالح

فما باله لم يسلم علي كما قال: وكانت إلى جانب القبر بومة كامنة، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل، فنفر فرمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها، فدفنت إلى جنبه، وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت،ط2، (دت)، ج-11 ص:246.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 94 2/8/17 10:06 AM

الأصمعي عن وصيف حاجب المهدي قال: كنا مع المهدي بزبالة وقد خرج حاجّا، فإذا أعرابيّ يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، إني عاشق، (قال الأصمعي: وكان يحبّ ذكر العشّاق). فدعا بالأعرابي فلما دخل عليه قال: أنت المنادي بالعشق؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال له: ما اسمك؟ قال: أبو ميّاس، قال: يا أبا مياس، من عشيقتك؟ قال: ابنة عمّي، وقد أبى أبوها أن يزوّجها مني. قال: لعله أكثر منك مالا، قال: لا بل أنا أكثر منه مالا. قال: فما قصّتك؟ قال: فقال له الأعرابي: أدن رأسك مني. قال: فجعل المهدي يضحك وأصغى إليه برأسه، فقال: إني هجين، قال: فليس يضرّك ذلك، إخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجين...وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف، ومعوّضك ممّا كرهت عشرة آلاف. قال: فذلك لك»[1] (ابن حمدون، ج-9ص:370). ومن هنا يذهب الباحث إلى أن لصناعة مثل هذه الروايات دوافعَ شخصيةً وأخرى حجاجيةً. كما يُلمح من الرواية بعد حجاجي عرقي آخر وهو: نظرة الأعراب الصرحاء إلى من اختلطت أعراقهم بغير العرب إذ كانوا ينتقصونهم ولا يزوّجونهم، ومثل هذه الرواية كفيلة بذلك. وفيها مزيد من تعظيم العرق العربي وتنزيهه عن غيره.

أما الحديث عن فصاحة المحتضر فقد تواتر في كتب الأدب والتراجم منه الكم الهائل. ونحن نُعنى بما رواه الأصمعي من روايات تنافي معهود السياق الواقعي. ففيها أبيات وقد صُنع لهذه الأبيات سياق درامي مشوق لتدخل إلى ذائقة المتلقين بلطف، كملحة يمرر من خلالها الراوي أيديولوجيته ممزوجةً بأشعار قالها قائلوها في مناسبات لا نعلمها، قد تكون مغايرةً لما وصلنا. فمن ذلك مثلاً:«حكى الأصمعي: قال: بينما أنا أسير في البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت:

أيا معشر العشّاق بالله خبروا إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته:

يداري هواه ثم يكتم سرّه ويخشع في كلّ الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته:

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفي كلّ يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته:

إذا لم يجد صبرا لكتمان سرّه فليس له شيء سوى الموت أنفع

(1) وانظر النص نفسه عند: ابن الجوزي ، أخبار النساء، ص:206. وانظر: الحسيني السراج القارئ، مصارع العشاق، ،ص:240.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 95 2/8/17 10:06 AM

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته:

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا سلامي على من كان للوصل يمنع»

(الأبشيهي، ج-2ص366) والرواية عند الشرواني.

ولا يخفى على أي كان أن مثل هذه الرواية لا يمكن أن تكون معقولةً، وأنها من صنع راوٍ. ولا يمكن مناقشة عدم معقوليتها لانعدام المعقول فيها، لكن يهمنا معرفة الخلفية التي صدرت عنها صناعة مثل هذه النهايات الدرامية. لا شك أن فيها محركا يرفع من شأن العرق العربي ورهافة حسه وتفانيه في وفائه للمحبوب، مع فصاحة لسانه وحسن بيانه. وكلها خصال روحيه تحاول تعديل كفة غياب المنجزات المادية المحسوسة التي وُصم بها الأعراب. ومن ذلك مثلاً:«حدثنا الساجي عن الأصمعي قال: رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه، وضؤل جسمه، ورق جلده، فتعجبت فدنوت منه أسأله عن حاله، فلم يرد جواباً، فسألت جماعةً حوله عن حاله، فقالوا: اذكر له شيئاً من الشعر يكلمك، فقلت:

سَبَقَ القَضَاءُ بأنّني لك عَاشِقٌ حتى المَماتِ ، فأينَ منكَ مَذاهبي؟

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته، ثم أنشأ يقول:

أخلـــو بذِكْرِك لا أُرِيدُ محَدّثاً وكَفَى بذلِكَ نِعمـــةً وَسُرورا

أبكي فيُطرِبُني البُكاءُ ، وَتارةً يأبى ، فيأتي مَنْ أُحِبُّ أسِيرا

فَإذا أنَا سَمْـــحٌ بِفُرْقَةِ بينِنا أُعقِبتُ مِنـــــــهُ حَسرَةً وزَفِيرَا

قال، فقلت: أخبرني عن حالك ؟ قال: إن كنت تريد علم ذلك، فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده:

ألا مَـــــــــا للمَليحةِ لا تَعُودُ أبُخلٌ ذاكَ منـــها أمْ صُدُودُ ؟

فلَوْ كنتِ المَرِيضةَ جئتُ أسعى إلَيكِ ، وَلم يُنَهنِهْني الوَعيدُ

فإذا جارية مثل القمر قد خرجت، فألقت نفسها عليه، فاعتنقا، وطال ذلك فسترتهما بثوبي خشية أن يراهما الناس. فلما خفت عليهما الفضيحة فرّقتُ بينهما، فإذا هما ميتان، فما برحت حتى صليت عليهما، ودفنا، فسألت عنهما فقيل لي: عامر بن غالب وجميلة بنت أميل المُزَنِيّان، فانصرفت»[1].(ابن الحسين السراج، ج-2ص:26)

(1) والحكاية لها روايات أخرى مختلفة أكثر غرابة. انظر على سبيل المثال: ابن قتيبة، عيون

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 96 2/8/17 10:06 AM

ولا شك أن أسبابا كثيرة غير معقولة تمنع من تقبّل مثل هذه الرواية، ليس أقلها أن يكون هو السقيم وهي مثل القمر لم يمرضها العشق، ولكن العشق أماتها فجأةً. وثمة أسئلة تبطل معقولية المشهد منها: أي جرأة منها ومنه على العناق؟ وأي غياب للشخصيات الأخرى (الجماعة الذين كانوا حوله) عدا الراوي عن ساحة الحدث؟ وأي نهاية درامية انتهت القصة عند حضور الراوي؟ ولا شك أن صانع هذه الرواية لم يكن هدفه التسلية بالغرائبيات، بل ربما أراد أن ينقل عادات مجتمع تقتله ألغام العشق والشعر؛ ليمعن في إضفاء مسحةٍ رومانسيةٍ عليهم رفعةً لشأنهم.

ومن هذه الروايات أيضاً:« أخبرني الرياشي عن الأصمعي عن جبر بن حبيب قال: أقبلت من مكة أريد اليمامة فنزلت بحي من عامر، فأكرموا مثواي، فإذا فتىً حسن الهيئة قد جاءني، فسلم علي، فقال: أين يريد الراكب؟ قلت: اليمامة. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من مكة. فجلس إلي، فحادثني أحسن الحديث ثم قال لي: أتأذن في صحبتك؟ قلت: أحب خير مصحوب، فقام، فما لبث أن جاء بناقة كأنها قلعة بيضاء، وعليها أداة حسنةٌ، فأناخها قريباً من مبيتي، وتوسد ذراعها، فلما هممت بالرحيل أيقظته فكأنه لم يكن نائماً، فقام فأصلح رحله فركب وركبت، فقصر علي يومي بصحبته، وسهلت علي وعوث سفري، فلما رأينا قصور اليمامة تمثّل:

وأعرَضَتِ اليَمامَةُ واشمَخَرّتْ كَأسْيَافٍ بأيدي مُصْلِتِينَا

وهو في ذلك كله لا ينشدني إلا بيتاً معجباً في الهوى، فلما قربنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا، فقلت له: لعلك تحاول حاجةً في هذه الأبيات؟ قال: أجل قلت: انطلق راشداً. فقال: هل أنت موفٍ حق الصحبة؟ قلت: أفعل. قال: مل معي فملت معه، فلما رآه أهل الصرم ابتدروه، وإذا فتيان لهم شارةٌ ، فأناخوا بنا وعقلوا ناقتينا، وأظهروا السرور، وأكثروا البر، ورأيتهم أشد شيء له تعظيماً، ثم قال: قوموا إن شئتم، فقام، وقمت لقيامه، حتى إذا صرنا إلى قبرٍ حديث التطيين ألقى نفسه عليه، وأنشأ يقول:

لَئِن مَنَعوني فـــــي حَياتي زيارَةً أُحامي بِها نفساً تَمَلّكَها الحبُّ

فَلَن يَمنعوني أن أُجاورَ لحدَها فيَجمَعَ جِسمَينَا التجاورُ والتُّرْبُ

ثم أنَّ أنـاتٍ، فمات. فأقمت مع الفتيان حتى احتفروا له ودفناه. فسألت عنه، فقالوا: ابن سيد هذا الحي، وهذه ابنة عمه، وهي إحدى نساء قومه، وكان بها مغرماً، فماتت منذ

الأخبار، ج-4ص:127، وانظر رواية: النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2004، ج-2ص:198. وانظر : ابن الجوزي، ذم الهوى، ، ص:510

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 97 2/8/17 10:06 AM

ثـلاث... فركبـت وكأننـي والله قـد ثكلـت حميمـاً»[1].(الحسـيني ، ج-1ص: 139).

ومثـل هـذه الروايـة التـي نـأى فيهـا الأصمعـي عـن أن يكـون شـاهدها بـل دخـل فـي سـند رواتهـا تلتقـي مـع سـابقتها فـي النهايـة الدراميـة المأسـاوية إذ تركـز كلهـا علـى مـوت الفجـأة الـذي يعـم أبطـال القصـص، وتنتهـي عـادةً ببيتـي شـعر ربمـا كانـا حقيقيين لكـن صُنعـت لهمـا هـذه المناسـبة مـن أجـل التشـويق، ومـن أجـل الترويـج لفكـرة المجتمـع المحافـظ الـذي يأبـى –لا كغيـره- التقـاء النسـاء بالرجـال. وهـذه الفكـرة عـن العفـة سـتضرب بهـا روايـات أخـرى عـرض الحائـط كمـا سـيأتي لاحقـا. ومـن هـذه الروايـات أيضـا:« أخبرنـا ابـن دريـد قـال: أخبرنـا أبـو حاتـم وعبـد الرحمـن بـن أخـي الأصمعـي جميعـا عـن الأصمعـي قـال: كنـت فـي سـفر فوقـف علينـا فـي بعـض المنـازل غـلام فقـال: أيكـم رجـل مـن أهـل البصـرة؟ قلنـا لـه: مـا تريـد منـه؟ فقـال: إن مـولاي مـن أهلهـا وهـو يريـد أن يوصـي إليـه، فقمـت معـه فـإذا بالعبـاس بـن الأحنـف. يجـود بنفسـه وقـد ألقـى بنفسـه علـى طيـن مبلـول فجلسـت عنـد رأسـه فرفـع طرفـه إلـيّ فلمـا تبيّننـي أنشـأ يقـول:

يا بعيد الدار عن وطنه مفردا يبكي على شجنه

كلّما جدّ النجاء بـــــه جدت الأسقام فـــي بدنه

ثم أغمي عليه فما أفاق إلا بصوت قمرية على غصن بالقرب منه فأنشد يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجى صوت قمريّ على فننه

شّفه ما شفّني فبكا كلنا يبكي على سكنه

ثم قضى فتوليتّ جهازه». (الزجاجي، ج-1ص:52).

مـا وصيـة هـذا الشـاعر المحتضـر الـذي قـام بتأخيـر وفاتـه لحيـن قـدوم أحـد البصريين؟ هـل ليُسـمعه اشـتياقه لوطنـه فحسـب. وأي فصاحـة وتجـلٍ للمخيلـة فـي سـاعات الاحتضـار؟ لا شـك أن مثـل الروايـة لا تمـت للحقيقـة بصلـة لا سـيما وأن لهـا رواةً آخريـن منهـم الصولـي عـن رجـل مـن قريـش، كمـا يـروي صاحـب كتـاب: معاهـد التنصيـص، وروايـة أخـرى يقدمهـا صاحـب كتـاب: نثـار الأزهـار[2]. (ابـن منظـور، ص:82) فـي حيـن ينقـل لنـا ابـن عبـد ربـه فـي العقـد الفريـد خبـرا آخـر عـن وفـاة الشـاعر والصـلاة عليـه وهـي كافيـة لدحـض الروايـة الغرائبيـة.[3] فـي حيـن اختلـف أصحـاب التراجـم علـى وفاتـه، ومـن الذيـن اختلفـوا علـى تاريـخ

(1) وانظر ابن الجوزي، ذم الهوى، ص: 550

(2) وانظر ايضاً: عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص: 56.

(3) يقـول:« هشـام بـن عبـد الملـك الخزاعـي قـال: كنـا بالرّقـة مـع هـارون الرشـيد، فكتـب إليـه صاحـب

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 98 2/8/17 10:06 AM

وفاتـه الصولـي الـذي تُنسـب لـه إحدى الروايـات، كمـا اختُلـف هل مـات قبـل الرشـيد أم بعـده.[1] وكل هـذا الاختـلاف حـول وفاتـه كفيـل أن يحبـط صحـة الروايـة.

ومـن روايـات فصاحـة الاحتضـار:« حدثنـي عبـد الرحمـن يعنـي ابـن أخـي الأصمعـي، عـن عمـه، عـن يونـس قـال: انصرفـت مـن الحـج فمـررت بماويـة وكان لـي فيهـا صديـق مـن عامـر بـن صعصعـة، قصـدت إليـه مسلماً، فأنزلنـي. فبينـا أنـا وهـو قاعديـن بفنائـه، فـإذا نسـاء مستبشـرات وهـن يقلـن: تكلـم. فقلـت: مـا هـذا؟ فقالـوا: فتـى منـا كان يعشـق بنـت عـم لـه، فزوجـت وحملـت إلـى الناحيـة بالحجـاز فإنـه لعلـى فراشـه منـذ حـول، مـا تكلـم ولا أكل إلا أن يؤتـى بمـا يأكلـه ويشـربه فقلـت: أحـب أن أراه، فقـام وقمـت معـه، فمشـينا غيـر بعيـد، فـإذا بـه مضطجـع بفنـاء بيـت مـن تلـك البيـوت، لـم يبـق منـه إلا خيالـه. فأكـب الشـيخ عليـه يسـأله وأمـه واقفـة، فقالـت: يـا مالـك هـذا عمـك أبـو فـلان يعـودك. ففتـح عينيـه ثـم أنشـأ يقـول:

ليبكني اليومَ أهل الود والشفقِ لم يبق من مهجتي إلا شفا رمقي

اليوم آخـــر عهدي بالحياة فقد أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثـم تنفـس صعـداء، فـإذا هـو ميـت. فقـام الشـيخ وقمـت معـه فصـرت إلـى خبائـه، فـإذا جاريـة بضـة تبكـي وتفجـع، فقـال لهـا الشـيخ: مـا يبكيـك أنـت؟ فأنشـأت تقـول:

ألا أبكـــــــــــــي لميتٍ شفَّ مهجته طول السقام وأضنى جسمه الكمد

يا ليت من كلَف القلب المهيم به عندي فأشكو إليه بعض مـــــا أجد

أنشرُ برديك أسرى ليَ النسيم به أم أنت حيث يناط الســـــــهد والكبد؟

ثـم انثنـت علـى كبدهـا وشـهقت فـإذا هـي ميتـة»[2]. (المرزبانـي، ص:85) ولا يخفـى أيضـا أن هـذه الروايـة المبنيـة علـى مـوت الفجـأة الـذي يصيـب العاشـقين معـا قرينـة سـابقاتها مـن خلـق المصادفـات غيـر المعقولـة. وهـي تُضـم إلـى قصـص الخيـال فـي تراثنـا العربـي. ويبـدو أن وراء اختـلاق مثـل هـذه الروايـات عـن حيـاة المشـاهير أو الأعـراب مرجعيـات ترفـع شـأن العـرب؛

الخبـر بمـوت الكسـائي، وإبراهيـم الموصلـي، والعبـاس بـن الاحنـف، فـي وقـت واحـد؛ فقـال لابنـه المأمـون: اخـرج فصـلّ عليهـم. فخـرج المأمـون فـي وجـوه قـواده وأهـل خاصتـه، وقـد صفّـوا لـه. فقالـوا لـه: مـن تـرى أن يقـدم؟ قـال: الـذي يقـول: يـا بعيـد الـدّار عـن وطنـه هائمـا يبكـي علـى شـجنه ...قيـل لـه: هـذا. وأشـار إلـى العبـاس بـن الأحنـف؛ فقـال قدّمـوه. فقـدّم عليهـم». ابن عبـد ربـه الأندلسـي، العقـد الفريـد، ج-6ص:323

(1) انظر تفصيل ذلك عند: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج-3ص:25

(2) وانظـر: ابـن السـراج البغـدادي، مصـارع العشـاق، ص: 40، وانظـر: داود بـن عمـر الأنطاكـي، تزييـن الأسـواق، ،ج-1 ص:280.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 99 2/8/17 10:06 AM

من خلال إسباغ الصفات الكريمة عليهم. وسنكتفي بهذا القدر من روايات فصاحة العاشق المحتضر لتكتشف لنا بعد تجميعها من مصادر مختلفة عن تكرار مصنوع من الروايات غير المعقولة التي تظافرت كتب الأدب على نقلها لأسباب تاريخية أو اجتماعية.

المطلب الثاني- مشهد الأعراب والقرآن:

ركّز جانب من روايات الأصمعي على موقف الأعرابي من القرآن، وكيف أنه ينغمس في فهمه إلى حد لا يجاريه فيه مجار، وهم من هذا المنطلق أقدر الناس على تذوق القرآن والتجاوب معه. فكأن أي انتقاص منهم إنما يلحق بالقرآن لأنه معجزة قائمة على اللغة، والأعراب يمثلون للغة ذروة سنامها. ومن هنا سعت الروايات المنسوبة للأصمعي إلى ترسيخ علاقة تأثّرية بين الأعراب والقرآن. وقد تداولت الكتب رواياته في هذا الجانب إلى حد كبير، ككتب التفسير وعلوم القرآن وكتب البلاغة والنقد. منها مثلاً: «حكى الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد:

استغفر الله لذنبي كلّه قَبّلتُ إنساناً بغير حِلّه

مثل الغزال ناعماً في دَلّه فانتصف الليل ولم أُصلّه

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أَوَيُعَدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى:) وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ(؟ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين». (الماوردي، ج-4ص:236) والرواية هذه متواترة في كتب التفسير[1]، وللخبر روايتان مختلفتان أيضا في بعض كتب الأدب[2]. على أن الناظر في الرواية لا يحار في ردّها وعدم قبولها. ذلك أن استعمال المصطلحات البلاغية مثل: أمرين ونهيين... بعيد التصديق عن جارية أعرابية في القرن الثاني، بسبب أن هذه المصطلحات عُرفت متأخرةً، وبسبب بُعد أهل الصحراء عن مراكز التعلم. يُضاف إلى هذا تناقض أطراف الحديث بين المجون وقيام الليل، ثم جرأة المرأة البدوية على الاعتراف بهذا الفعل والتشهير بنفسها، ورواية ذلك على الغرباء. كل هذا كفيل من جهة سياق الواقع برد هذه الرواية التي قُصد بها رفع شأن الأعراب في الفصاحة، وقدرتهم على تمثّل معاني القرآن. وأخيراً يجب التذكير أن هذه الأبيات هي للشاعر ديك الجن الحمصي وهو من شعراء الغزل الفاحش، وقد وردت في ديوانه، كما أوردها العسكري في كتاب المعاني منسوبةً للشاعر نفسه[3]. (ديك الجن،

(1) انظر على سبيل المثال: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج-13ص:252. وانظر: القاسمي، ، محاسن التأويل، ج-1ص:209

(2) انظر أسامة بن منقذ، لباب الآداب ، ص:329. وانظر أيضا: النويري، نهاية الأرب، ج-7ص:7.

(3) وانظر: العسكري، أبو هلال، ديوان المعاني، ج-1ص:316.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 100 2/8/17 10:06 AM

ص:141)

ومن هذه الروايات أيضاً ما تناقلته عشرات كتب التفسير:« عن الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قَعُودٍ له فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال: اتل علي، فتلوت (والذاريات) فلما بلغت قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم) قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم علي واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: فورب السماء والأرض إنه لحق، فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه»[1].(الزمخشري، ج-4ص:403).

ويتضح من السياق تهافت الرواية وموت الفجأة الذي يُصيب أبطال قصص الأصمعي بعد نطقهم بالمعنى المؤثر، وسياق الحج والطواف له الكثير من الروايات المشابهة لهذه الرواية. والشخصيات الكثيرة التي يلتقي بها الأصمعي في البوادي صدفةً ثم يلتقي بهم فجأةً في موسم الحج وقد تغيّرت حالهم كثيرة جداً، ولا يوجد متسع لذكرها، الأمر الذي يؤول إلى تضعيفها وعدم الأخذ بها؛ ذلك لقيامها على خلق المصادفات المتكررة. ومن المستبعد أن يأتي غريب إلى مدينة فيسأل الأصمعي ممن الرجل؟ ثم من أين أقبلت؟ سؤال غريب، فالأولى بالقادم من بعيد أن يُسأل هذا السؤال. كما أن مشهد الطواف حول البيت قد مات فيه الكثير من أبطال القصص الفصحاء عند الأصمعي. وأن يكتفي متذوق القرآن المنغمس في فهمه قبل بلوغ آخر السورة ويطلب التوقف، ويعود يطلب ما تبقى منها بعد عام –صدفةً- ويموت بعد سماع جزء من التتمة أمر مستبعد، وألاّ يسمع الأعرابي القرآن من كل الحفاظ إلا من الأصمعي حين يلتقي به مستبعد أيضا. وكل هذا منافٍ لسياق الواقع. كما أن بناء نكتة القسم في الآيات أن الله احتاج إلى الحلف لأن القوم كذبوه، لا يليق وغير دقيق؛ لأن الذي يلتجئ للحلف هو المتهم، ونكتة القسم على (ما توعدون) هنا هو التأكيد على البعث وليس على الرزق (ابن كثير، ج-4ص:283). كما أن الكلام متتابع، ولم تنزل الآيات وتتوقف قبل القسم ثم يأتي القسم بعد تكذيب الناس لما تقدمه من خطاب، ولا دليل على هذا. وإن كانت الرواية تنسب لأعرابي غير مؤاخذ على أميّته. وثمة سبب آخر وهو ظهور الحكمة في منطق الرجل، وظهور الطيش في سلوكه، حين

(1) وانظر: النيسابوري، الثعلبي، الكشف والبيان،ج-9ص:115.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 101 2/8/17 10:06 AM

نحـر راحلتـه وكسـر سـلاحه.

وقريـب مـن هـذه الروايـة مـا تناقلتـه كثيـر مـن كتـب التفسـير وأكتفـي بنقـل ابـن عاشـور لهـا دون تعليـق إذ يقول:«وفـي «الكشـاف» رُوي أن قارئـا قـرأ هـذه الآيـة: (فـإن الله غفـور رحيـم) فسـمعه أعرابـي فأنكـره وقـال: لا يقـول الحكيـم كـذا لا يذكـر الغفـران عنـد الزلـل لأنـه إغـراء عليـه، وفـي القرطبـي عـن «تفسـير النقـاش» نسـبة مثـل هـذه القصـة إلـى كعـب الأحبـار، وذكـر الطيبـي عـن الأصمعـي قـال كنـت أقـرأ: {والسـارق والسـارقة فاقطعـوا أيديهمـا جـزاء بمـا كسـبا نـكالا مـن الله والله غفـور رحيـم}، وبجنبـي أعرابـي فقـال كلام مـن هـذا؟ قلـت كلام الله. قـال: ليـس هـذا كلام الله فانتبهـت فقـرأت: {والله عزيـز حكيـم} [المائـدة:38] فقـال أصبـت هـذا كلام الله فقلـت: أتقـرأ القـرآن؟ قـال لا قلـت مـن أيـن علمـت؟ قـال يـا هـذا عـز فحكـم فقطـع ولـو غفـر ورحـم لمـا قطـع» (ابـن عاشـور:ج-2ص:264). علـى أن ثمـة الكثيـر مـن روايـات الأعـراب والقـرآن جـاءت عـن طريـق الأصمعـي، إذ تُجمـع كلهـا -أو تـكاد- علـى أن الأعـراب لـم يسـمعوا بالقـرآن علـى عمومهـم لكنهـم أكثـر النـاس تأثـرا فيـه عنـد سـماعه. وبعـض هـذه الروايـات جـاءت عـن طريـق الطُـرَف التـي تؤكـد جهلهـم بالقـرآن وخلطـه بالشـعر، ومـا أحسـب مثـل تلـك الروايـات إلا أن وضعهـا شـعوبيون علـى لسـان الأصمعـي لأن مرجعيتهـا لا تحتمـل مدحـا ولا إبـرازا للفضائـل بـل إنهـا جامعـة للـذم[1]. وقـد اشـتُهرت فـي ترجمـة الأصمعـي هـذه المقولـة:«أن الأصمعـي كان لا ينشـد ولا يفسـر مـا كان فيـه ذكـر الأنـواء... وكان لا يفسـر ولا ينشـد شـعراً فيـه هجـاء[2]، وكان لا يفسـر شـعراً يوافـق تفسـيره شـيئاً مـن القـرآن، هكـذا يقـول أصحابـه» (المبـرد، ج-3ص:28). ومنهـا:« قـال أبـو حاتـم: سـألت الأصمعـي عـن الصَّـرْف والعَـدْل فلـم يتكلـم فيـه قـال ابـن دريـد: سـألت عنـه عبـد الرحمـن فقـال الصّـرف: الاحتيـال والتكلـف والعَـدْل: الفـدى والمثْـل، فلـم أدر ممـن سمعه»(السـيوطي، ج-2ص:278) وقـد ورد فـي شـرح صحيـح البخـاري وصحيـح مسـلم مـا نصـه:« وقـال الأصمعـي الصـرف التوبـة والعـدل الفديـة»[3].(ابـن

(1) كمثـل الروايـة الآتيـة:« قـال الأصمعـي: دخلـت الباديـة ومعـي شـيء أودعتـه عنـد امـرأة منهـم. طلبتـه منهـا فأنكـرت وجحـدت، فقدمتهـا إلـى شـيخ منهـم فقرّرهـا، فأقامـت علـى إنكارهـا. فقـال: قـد علمـت أنـه لا يلزمهـا إلّا اليميـن أفتريـد إحلافهـا، فقلـت: لا تفعـل، ألـم تسـمع قولـه:

ولا تسمع لسارقة يمينا ولو حلفت بربّ العالمينا

فقـال: صـدق الله، ثـم تهدّدهـا وتشـدّد عليهـا فأقـرّت وردّت إلـيّ مالـي. فالتفـت إلـيّ الشـيخ فقـال فـي أيّ سـورة هـذا؟ فقلـت فـي قولـه:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

فقـال: قـد كنـت ظننتهـا فـي: (إِنَّـا فَتَحْنـا لَـكَ فَتْحـاً مُبِيناً)(الفتـح: 1)» ،ابـن حمـدون ، التذكـرة الحمدونيـة: ج-3 ص:291

(2) روى الأصمعـي كثيـرا مـن قصائـد الهجـاء، فمـن ذلـك مـا نقلـه بعضهـم علـى لسـان الأصمعـي: « قَـالَ الأصمعـي: مـا رويـت للعـرب فـي الهجـاء مثلهـا. » ابـن الملقـن، التوضيـح لشـرح الجامـع الصحيـح، ج-11ص:430.

(3) وانظر النص نفسه عند: الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج-2ص:994.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 102 2/8/17 10:06 AM

حجر، ج-4ص:86) أما عن رواية شعر الأنواء فقد جاء في كتاب الأصمعيات ما ينفي هذا الزعم. كقصيدة أعشى باهلة، إذ يقول:

« نعيتَ من لا تغبُّ الحيَّ جفنتُهُ ... إذا الكواكبُ أخطأَ نوءَها المطرُ» (الأصمعي، ص:89)

على الرغم من صورة الورع هذه فإن ثمة عددا هائلا من روايات المجون في بلاط الخلفاء رُويت عن الأصمعي[1] كفيلة بتمزيق قناع الورع، إلا أن يكون أحد الوجهين -الورع أو المجون- موضوعا على الرجل. كما أن ثمة روايات في كتب التراث تنقل عن الأصمعي تفسيره لغريب القرآن إلى جانب الروايات المتقدمة التي تؤكد تحفظه وامتناعه عن التفسير. فمن هذه الروايات مثلا:« قولهم ما يَدرْي (ما طَحاها) قال الأصمعي: طحاها مدَّها، يعنون الأرض، قال الله جل وعز: والأرضِ وَما طَحاها. ويقال طحا قلبه في كذا وكذا إذا تطاول وتمادى. ومنه قوله عَلْقَمَة:

طَحا بِكَ قَلْبٌ في الحِسان طَروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشيبُ

أي تطاول وتمادى في ذلك» (المفضل بن سلمة، ص:19) وهذا النص متواتر في المعاجم وكتب اللغة. ومثله أيضاً:«وحكى عن الأصمعي أنه قال: ما كنت أعرف الدّهاق حتى سمعت جارية بدويّة تقول: أسقى دهاقا أي ملآنا». (العلوي، ج-1ص:44) وفي كتب غريب القرآن وغريب الحديث لا تكاد تنقطع الصفحات عن ذكر الأصمعي[2].

وقد يلتحق بهذا النوع من الروايات ما نصه: « قال الأصمعي جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وبين محمد بن مسعر الفدكي قال أبو عمرو ما تقول قال أقول إن الله وعد وعدا وأوعد إيعادا فهو منجز إيعاده كما هو منجز وعده فقال أبو عمرو إنك رجل أعجم، لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب، إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الإيعاد كرما وأنشد:

وإني إن أوعدته أو وعدته لَيَكْذب إيعادي ويصدق موعدي» (ابن هبة الله، ج:70ص:296)

وفي هذا النص يتجلى مفهوم استقراء الحكم والغايات من كتاب الله وجعله حكرا على فصحاء العربية، وجعل المقصرين عن ذلك أعجام القلوب لا عربا، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في تمهيد الدراسة. وسأكتفي من الروايات عن القرآن بهذا القدر الذي ربما يسمح باستعمال العقل في مناقشة الموروث الأدبي واللغوي بعيدا عن السقوط في مدارك التمجيد. والعلة في اختيار هذه الروايات كامنة في سياقها التاريخي.

(1) انظر مثلا: أبا الفرج الصفهاني، الأغاني:ج-10ص:359. وانظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ج-3ص:207

(2) انظر على سبيل المثال:ابن قتيبة، غريب القرآن، ص:215. وانظر: الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص: 7.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 103 2/8/17 10:06 AM

المطلب الثالث: مشهد النساء الأعرابيات:

يتبادر إلى ذهن المتلقي دائماً عند متابعته للروايات المنسوبة للأصمعي تركيزه الشديد على شخصية المرأة البدوية، فلقاءاته بالرجال تكاد تكون عرضا بينما تكثر لقاءاته بالنساء سيما الجواري المليحات الفصيحات جداً، إذ تبدأ القصة عادةً بشكل مفاجئ وتنطلق الألسنة بالفصاحة فور وصول الراوي. وعدد هذه الروايات كبير جدا، إذ تكون الأعرابية جاهزةً دائما لفضول الراوي ولتدخّله الفج في الموقف. وقد احتل مشهد المرأة الثكلى عند المقبرة مساحةً كبيرة، والمرأة العاشقة، والمرأة في الطواف، والمرأة المستجدية بسبب الجدب، فهذه المواقف لها قصص طويلة جدا في كتب التراث التي تُروى عن الأصمعي، وأكثر قصصها مكررة المشهد.

مشهد المرأة الشاعرة على المقبرة:

سنسوق من هذه الأمثلة ما تسمح به مساحة الدراسة. فمن ذلك، مشهد الجارية المليحة عند القبور، وسأبدأ بأنسب هذه الروايات لسياق الواقع إذ تُنكر الشخصية على الراوي فضوله وتدخله ومخاطبة من لا تحل له:«عن الأصمعي عن أبان بن تغلب قال أتيت المقابر فإذا أنا بصبية قد كادت تخفى بين قبرين لطافة وإذا هي تنظر بعين جؤذر فبينا هي كذلك إذ بدت لها كفان كأنهما لسان طائر بأطراف كأنها المداري وخضاب كأنه عنم ثم هبت الريح فرفعت عن برقعها فإذا بيضة نعام تحت أم رئال، ثم قالت: اللهم إنك لم تزل قبل كل شيء، وأنت بعد كل شيء، وقد خلقت والديَّ قبلي، وخلقتني بعدهما، فآنستني بقربهما ما شئت، ثم أوحشتني منهما إذ شئت، اللهم فكن لي منهما مؤنساً، وكن لي بعدهما حافظاً، قال: فقلت: يا صبية، أعيدي لفظك، فلم تسمع، ومرت في كلامها ثم أعدت عليها فنظرت ثم قالت: يا شيخ والله ما أنا لك بمحرم فتحادثني محادثة أهلك، أهلك أولى بك. قال: فاستخفيت بين القبور مستحيياً مما قالت لي، ثم سألت عنها فإذا هي أيّم...»(ابن طيفور-ص:25) ومن هذه الروايات أيضاً:« قال الأصمعي دخلت المقابر فإذا أنا بامرأة تنوح على زوجها وهي سافرة فلما رأتني غطت وجهها ثم كشفته فقالت:

لا صنت وجهاً كنت صائنه أبداً ووجهك في الثرى يبلى

يا عصمتي في النائبات ويا ركني القوي ويا يدي اليمنى» (ابن طيفور-ص:189)

«وحكي أيضا عن الأصمعي رحمه الله تعالى أنه قال: بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة إذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول:

بروحي فتى أوفى البرية كلها وأقواهم في الحبّ صبرا على الحب

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 104 2/8/17 10:06 AM

قال: فقلت لها: يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها؟ فقالت: يا هذا، إنه ابن عمي هَوِيَني فهويته، فكان إنْ أباح عَنَّفوه، وإن كتم لاموه، فأنشد بيتي شعر وما زال يكررهما إلى أن مات؛ والله لأندبنه حتى أصير مثله في قبر إلى جانبه فقلت لها: يا جارية فما البيتان؟ قالت:

يقولون لي إن بحت قد غرّك الهوى وإن لم أبح بالحبّ قالوا تصبّرا

فما لامرىء يهوى ويكتـــــم أمره من الحبّ إلّا أن يموت فيعذرا

ثم إنها شهقت وفارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها» (الأبشيهي، ص:424). وموت الفجأة الذي يغشى الشعراء العاشقين متواتر في الروايات لا سيما إذا حضر الراوي وقال الشاعر بيتيه الأخيرين. ومن هذه الروايات أيضا:« قال الأصمعي: دخلت بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لي، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال، وعليها من الحلي والحلل ما لم أر مثله، وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجي؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت: هل رأيت أعجب من هذا؟ قال: لا والله ولا أحسبني أراه! ثم قلت لها: يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زي الحزن. فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني رهينة هـــــذا القبر يا فتيان

وإنـــي لأستحييه والتّرب بيننا كما كنت أستحييه حين يراني

أهابك إجلالا وإن كنت في الثرى مخافة يوم أن يسوءك شانـي

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي بالا ويكثر في الدّنيا مواساتي

قد زرت قبرك في حلي وفي حلل كأنني لست من أهل المصيبات

أردت آتيك فيـــما كنت أعرفه أن قد تسرّ به مـــن بعض هيآتي»[1]

ويظهر تهافت هذه الراوية بسبب تكرار المشهد والجارية الجميلة القادرة على قول الشعر الفصيح الوفية لفقيدها. ومن هذه الروايات أيضا:« وقال الأصمعي: رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول:

(1) وردت هذه الحكاية ومعها الأبيات في بعض الكتب مرويةً عن سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب، انظر ذلك عند: صفيّ الدين، الحلبي، أنس المسجون وراحة المحزون، ، ص:72.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 105 2/8/17 10:06 AM

خدّي يقيك خشونة اللـــّحد وقليلـــــة لك سيّدي خدّي

يا ساكن القبر الذي بوفاته عميت علــيّ مسالك الرّشد

اسمع أبثّك علّتي ولعلّنــي أطفــي بذلك حرقة الوجد»[1]

(ابن عبد ربه، ج-3ص:232)

ومن هذه الروايات أيضاً:« حَدَّثَنَا أبي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد الْخُتلِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا القَاسِم بْن الْحَسَن، قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيّا بْن أَبِي خَالِد البلديّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الْوَرَّاق، عَنِ الأصمعي، قَالَ: خرجت إلى مَقَابِر الْبَصْرَة فَإِذا امرأة واقفةٌ عَلَى قبر، وَهِي تَنْدُب وَتقول:

هل خبر القبر سائليـــــه أم قر عيناً بزائريـــه

أم هل تراه أحاط علمـــاً بالجسد المستكن فيه

لو يعلم القبر من يواري تاهَ على كُلِّ مـــا يَلِيهِ

يا قبر لـــو تقبل افتداءً كنت بنفسي سأفتديــه

... فَحفِظت مَا قَالَتْ، ثمَّ دَنَوْت إِلَيْهَا، فَقلت لَهَا: أعيدي لفظك رَحِمك الله، قَالَتْ: أما وَالله لَو علمت أَن أحدا يَسْمَعُني مَا تفوهت بِهِ، قَالَ: فَقلت لَهَا: إِنِّي أَسأَلك إلا أعَدْتِيه، فَقَالَت: يَا شيخ سوءةً لَك، أَقُول لَك مَا أَقُول وتعيد عَليّ الْكَلَام فَقلت لَهَا: إِنِّي أَسأَلك إلا سمعتيه منِي، فَأَقْبَلت عَليّ بوجهها، وسفرت عَنْ قناعها، وَقَالَت: اللَّهُمَّ إِن يَأْتِ فِي الدُّنْيَا أصمعي فَهَذَا هُوَ، فَقلت: أَنَا هُوَ، من الْفَتى تندبين؟ فَقَالَت: أَخِي وَابْن أُمِّي» (المعافى بن زكريا، ص:309) [2]. ولن يدخل العجب على القارئ إلا حين يتواتر عليه هذا المشهد للجارية المقنعة التي يظهر وجهها صدفةً، وتنطق بالشعر الفصيح. ومن هذا أيضاً:«حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر-رحمه الله- قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن، وأَبُو حاتم، والأشناندانى، والرياشى، قَالُوا: سمعنا الأصمعى، يَقُولُ: كنت بالبادية فرأيت امرأة عند قبر وهي تبكي وتقول:

فمن للسؤال ومـــن للنوال ومـــن للمقَالِ ومن للخطب

ومن للحماة ومن للكماة إذا مـــــا الكماة جثوا للركب

(1) وانظر النص نفسه للمؤلف نفسه. ابن عبد ربه الأندلسي، طبائع النساء ص: 211. وكذلك انظر: الأنطاكي، تزيين الأسواق،ص: 301

(2) والقصيدة طويلة والمؤلف يرويها بأسانيد مختلفة عن الأصمعي. وانظر الرواية نفسها عند ابن الجوزي ، أخبار النساء، ص:141

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 106 2/8/17 10:06 AM

إذا قِيلَ مـــات أَبُو مالك فتى المكرمات قريع العرب

فقد مات عز بني آدم وقد ظهر النكد بـــعد الطرب

قَالَ: فملت إليها فقلت لها: من هذا الَّذِي مات هَؤُلَاءِ الخلق كلهم بموته؟ فقَالَت: أو ما تعرفه؟ قلت: اللهم لا، فأقبلت ودمعتها تنحدر وإذا هي مقاء برشاء ثرماء، فقَالَت: فديتك! هذا أَبُو مالك الحجام ختن أَبِي منصور الحائك! فقلت عليك لعنة الله! والله ما ظننت إلا أنه سيد من سادات العرب»[1](القالي، ج-1ص:62). وفي وصف الدمامة يظهر نزوع الراوي لدوافع أخرى غير تصيّد النظم الفصيح، كما أن في الرواية تسفيها للراثية والمرثي من جهة المنزلة والمكانة، ورفعة من جهة الفصاحة، لتمرير أن هذا لا يمنع ذلك. ومن هذه ما يبلغ درجة من غير المعقول إلى الخرافة إذ يُسمع صوت الموتى ويقولون شعرا أيضاً؛ وذلك تحت غطاء النوم على قبر الشاعر العاشق، كما جاء عن الأصمعي: «روى الأصمعي أيضاً قال: خرجتُ أريد بعض أحياء العرب، فجنني الليل، وبتّ في جَبّان، وتوسّدتُ قبراً، فسمعت في الليل من القبر قائلاً يقول:

أنعـــــم الله بالخيالَين عيناً وبمسراكِ، يا سُعـــــاد، إلينا

وحشةً ما لقيتُ من خَلَل القبـ ـر عسى أن أراك، أو أن ترينا

فأرقتُ له ليلتي، فلما أصبحتُ دخلت الحيَّ، فإذا بجنازة قد أُقبل بها، فسألت عنها، فقيل: هذه سعاد كانت تحبّ ابن عمٍّ لها، وإنهما تعاقدا على الوفاء فهلك قبلها، فلم تزل تبكي عليه، فها هي قد لحقت به. فتبعتُهُم، حتى دُفنت إلى جانب القبر الذي بِتُّ عنده، وإذا هو قبر ابن عمها، فخبّرتهم بما سمعتُ وانصرفت»[2](الوشاء، ص:111). وفي هذه الرواية نجد أن البيتين قد قيلا بعد الموت ولم يقلهما العاشق عند خروج روحه. على أن ثمة روايةً للبيتين على أنهما على لسان حور الجنة وهن يستقبلن أحد أئمة الصوفية (المعري، ص:244).

إن الغريب في روايات الأصمعي هو تكرار المشهد نفسه والمكان وتغير النص المنطوق به. فمشهد المقبرة والجارية اكتفينا منه بما أوردناه سابقا. وفيه من عدم المعقول ما يجعل بعضه ينقض بعضه الآخر. فكل هذه المصادفات جمعت الراوي بجواري المقبرة الشاعرات الفصيحات أثناء ندبهن موتاهن، وكأنه كان يعمل حارس مقبرة! إن ذلك يثير العجب إذا صحت نسبتها للأصمعي. ومن هنا يذهب الباحث إلى أنه تم حياكة قصة لكل

(1) انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج-3ص:182، وانظر كذلك: ابن حمدون، التذكرة،ج-4ص: 83

(2) انظر الرواية نفسها عند:الانطاكي، تزيين الأسواق، ص: 271.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 107 2/8/17 10:06 AM

أبيات رويت وهذه الحكاية إما منسوبة للأصمعي أو من صناعة الأصمعي. والغرض منها إثبات قوة السليقة، وسرعة استجابة المخيلة الشعرية للموقف، وهي تعزز رفع شأن العرق العربي. وإلا كيف يُعقل أن كل هذه المواقف تحدث عند المقابر وكل أبطالها جوار شاعراتٍ بليغاتٍ يتقيدن بالجلوس وعدم النطق إلى أن تقترب كاميرا الأصمعي عندها يبدأ المشهد بالتحرك وتُسمع الأصوات. إن نظرةً عقليةً بسيطةً إلى كثير من هذه القصص يثبت عدم واقعيتها. وفي بعض القصص يُظهر لنا الراوي تجسسه على النادبات وهن لا يعلمن بوجوده وكل هذا مخالف لمعهود العرف.

مشهد المرأة الأعرابية وسؤال العشق:

إن الناظر في كثير من روايات الأصمعي عن الأعراب يخالجه كم من الشك في صحتها. وعند النظر في هذا الكم من الروايات نجد أن بؤرة الحدث تبدأ صدفة بوصول الأصمعي، إذ يبيح لنفسه أن يبادر بالسؤال لأي امرأة يراها أو يسمع صوتها، دون أن يحيلنا سياق الموقف على تمهيدات مقنعة تجعل من حوار الغريب مع الغريبة -بشكل فج- أمرا مسوغا، لا سيما وأن الأصمعي ينقل لنا عادات أهل البادية وتحفظهم الشديد على النساء ولبسهن للبراقع. لكنه عادة ما يخرق هذا النمط فيبيح لنفسه أن يسأل عن العشق عندهم. كقوله:«قال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما تعدون العشق فيكم؟ قالت: الضمة والغمزة والقبلة، ثم أنشأت تقول:

ما الحبّ إلّا قبلة وغمز كف وعضد

ما الحبّ إلّا هكذا إن نكح الحبّ فسد

ثم قالت: كيف تعدون أنتم العشق؟ قلت: نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها. قالت: لست بعاشق أنت طالب ولد، ثم أنشأت:

قد فسد العشق وهان الهوى وصار من يعشق مستعجلا

يريد أن ينكـــــــــح أحبابه مـن قبل أن يشهد أو ينحلا»

(الأبشيهي، ج-2ص:353)[1]

وقد لا يجد المتلقي أدنى شك في رفض هذه الفجاجة الخلقية والوقاحة الزائدة التي لا تتوافق والصورة الكلية للمرأة في المجتمعات البدوية. غير أن الأبيات ربما قالها رجل ما حضري أو بدوي. لكن صناعة الحدث يجعل منها ملحةً محببة عن المتلقي، ناسيا القيمة

(1) وانظر: ابن الجوزي، أخبار النساء، ص: 51

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 108 2/8/17 10:06 AM

الأخلاقيـة التـي تصـدر عنهـا. بـل إن فـي بعضهـا شـيئا مـن أسـلوب الكُتّـاب المتأدبيـن يتنافـى وفطـرة اللغـة البدويـة. والروايـة وإن جعلـت شـخصية المـرأة الأعرابيـةً فصيحـة قـادرةً علـى التعبيـر بعمـق عـن المعنـى- إلا أنهـا تظـل غيـر واقعيـة؛ لأن مدلولهـا الأخلاقـي لا يتوافـق مـع بيئـة الأعـراب. فقائلـة هـذا الـكلام عنـد الغربـاء قـد لا تكـون حـرةً أو عفيفـةً. والحقيقـة أن هـذه الأبيـات -بعـد التنقيـب عنهـا- رُويـت فـي كثيـر مـن المصـادر للخليفـة المأمـون، وهـو الأنسـب عقـلا[1].

ومـن هـذه الروايـات أيضاً:«وخُبّـرت عـن الأصمعـي أيضـاً أنـه قـال: رأيـت جاريـةً وهـي تقـول: اللهـمّ، مالـك يـوم القضـاء وخالـق الأرض والسـماء، ارحـم أهـل الهـوى، واسـتنقذهم مـن عظيـم البـلاء، واعطـف عليهـم قلـوب أوّدائهـم بالصفـاء، فإنـك سـميع النجـوى، قريـبٌ لمـن دعـا؛ ثـم أنشـأت تقـول:

يا ربّ! إنك ذو مـــنٍّ ومغفرةٍ، بيِّتْ بعافيةٍ منك المـــحبينا

الذاكرين الهوى من بعد ما سهروا حتى يظلوا على الأيدي مكبّينا

فقلـت: يـا هـذه، أتُغنّيـن وأنـت فـي الطـواف؟ فقالـت: إليـك عنـي، لا يُرهقـك الحـب! فقلـت لهـا: ومـا الحـب؟ وأنـا بـه أعـرف منهـا. فقالـت: جـلّ أن يخفـى ودقّ عـن أن يُـرى لـه كمـونٌ ككمـون النـار فـي الحجـر، إن قدحتـه أوراك، وإن تركتـه تـوارى. قـال: فتبعتهـا حتـى عرفـت منزلهـا...» (الوشـاء، ص: 90).

ولا يخفـى تهافـت مثـل هـذه الروايـة التـي تخلـط فريضـة الحـج واللهـج بذكـر الله مـع العشـق واللهـج بالمعشـوق، والغريـب أنهـا تأتـي مـن امـرأة وفـي الطـواف أيضـاً، والغريـب أن عدسـة الـراوي هـي الأخـرى ليسـت مسـتغرقةً فـي الطـواف، بـل تبحـث عـن المشـاهد الدراميـة. كمـا أن إنـكار الـراوي عليهـا لـم يكـن نهيـا عـن المنكـر بقـدر مـا هـو إعجـاب، بدليـل أنـه تبعهـا ليعـرف مسـكنها. كل هـذا يجعـل صـورة المـرأة تميـل إلـى صـورة كاملـة مـن المجـون والفصاحـة، تلـك الصـورة التـي تجعلنـا نقربهـا مـن صـورة جـواري القصـور المتأدبـات. علـى أن هـذه الروايـة تُـروى عـن أبـي العينـاء فـي سـؤاله لإعرابـي، وهـو سـياق معقـول قابـل للتصديـق، كمـا تُـرى فـي سـياق سـؤال الرشـيد لأعرابـي[2].

(1) انظـر مثلا:الصولـي، أبـا بكـر، أشـعار أولاد الخلفـاء، ص:326. وانظـر البكـري اللآلـي فـي شـرح أمالـي القالـي، ج-2ص:691.

(2) انظـر: الأبشـيهي، المسـتطرف: ج-2ص:345. وانظر:النويـري، نهايـة الأرب ج-2ص:142. وانظـر: الأماسـي، روض الأخيـار، ص:373

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 109 2/8/17 10:06 AM

ومثل هذه الرواية لشخصية المرأة العاشقة قليلة الحياء والورع في المكان نفسه وهو الطواف والراوي الفضولي نفسه الذي يبادر إلى النهي عن المنكر، ويستنكر عليها عدم حيائها.« قال الأصمعي: رأيتُ جاريةً بالطواف وهي تقول:

لن يقبل الله من معشوقةٍ عملاً يوماً، وعاشقها حَيرانُ مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها لكنّ عاشقها لا شكّ مأجور

فقلت: يا جارية! أفي هذا المقام، أما حياء فيردعك؟ فأنشأت تقول:

بيضٌ أوانس ما هممن بريبةٍ كظباء مكة صيدهنّ حرام

يُحسَبْن من لين الكلام زوانياً ويصدّهنّ عن الخَنى الإسلام»[1]

(الأصبهاني، ص:38)

على الرغم من أن البيتين الأولين يدل معناهما على أن القائل رجل وليس امرأة. ولو رجعنا لسياق الطواف لعلمنا أن الطائف بالبيت لا يكاد يسمع صوت نفسه من ضجيج الحجيج، على أن الأبيات تُروى لغير واحد من الرواة[2]. وقد وردت الأبيات في كتاب أخبار مكة على أنها لأحد العرب، وليست في الطواف، بل في رفض الذهاب للحج، وهذا يقتضي فصل الورع عن المجون، وهذا يُرجح ما ذهبنا إليه، والرواية هي«وَقَالَ آخَرُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مِنىً وَالْحَجِّ:

قَالَتْ عُلَيَّةُ لِي فِيمَا تُحَاوِلُنِي أَلَا تَحُجُّ فَقُلْتُ: الْحَجُّ مَحْظُورُ

قَالَتْ: أَرَى النَّاسَ قَدْ حَجُّوا. فَقُلْتُ لَهَا مَا حَجَّ نَاسٌ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيرُ

وَلَوْ حَجَجْتِ عَلَى مَا تَفْعَلِينَ بِنَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَجُّ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ

لَنْ يَقْبَلَ اللهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا يَوْمًا وَعَاشِقُهَا غَضْبَانُ مَهْجُورُ

وَلَيْسَ يَأْجُرُهَا فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا لَكِنَّ عَاشِقَهَا فِي ذَاكَ مَأْجُورُ»

(الفاكهي، ج-4ص:229)

(1) وانظر الوشّاء ، الموشى: ص: 92.

(2) انظر مثلا: ابن السراج، مصارع العشاق، ج-2ص:217، وانظر: ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، ص: 173.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 110 2/8/17 10:06 AM

وقد وقعت الرواية أيضا في كتب تخريج الحديث»[1]. وكل هذا كفيل برد الرواية من كل الجهات. ومن هذه الروايات:« قال الأصمعي: رأيت في طريق الحج جاريتين كفلقتي القمر، فلما كانت السنة الثانية رأيت إحداهما فسألتها عن أختها فقالت تزوج بها ابن عم لها، فقلت: لو أدركتها لتزوجتها، فقالت: ما يمنعك من شقيقتها في حسبها ونسبها... ؟ فقلت: قول كُثّير:

إذ واصلتنا خلّة كي تزيلها عرضنا وقلنا الحاجبيّة أوّل

فقالت بيننا كُثّير أليس هو القائل:

هل وصل عزّة إلا وصل غانية في وصل غانية عن وصلها خلف»

(الراغب الأصفهاني، ج-2ص:56)

وتُروى هذه القصة عن الأصمعي فيما ينقله عن الشاعر كُثيّر ومعشوقته عزة، وأنها تنكّرت له فدار بينهما الحوار[2]. ويتضح من سياق الرواية الأولى تهافتها، وجرأة الجارية الجميلة وقلة حيائها، بما يجعلها منافيةً لسياق الواقع المعقول. مع ملاحظة التركيز على سياق الحج. وقال:«الأصمعي عن أبان بن تغلب قال أضللت إبلاً لي فخرجت في بغائها فإذا أنا بجارية أعشى إشراق وجهها بصري، فقالت: مالك يا عبد الله؟ وما بغيتك؟ قال: أضللت إبلاً لي فأنا في طلبها، فقالت: أهل أدلك على من علمها عنده؟ قلت إذن تستوجبي الأجر، وتكتسبي الحمد والشكر، فقالت: سل الذي أعطاكهن فهو الذي أخذهن منك من طريق اليقين لا من طريق الاختبار، فإنه إن شاء فعل. قال: فأعجبني ما رأيت من عقلها وسمعت من فصاحتها فقلت لها: ألك بعل؟ فقالت كان ونعم البعل! كان فدعي إلى ما منه خُلق فأجاب. فقلت لها فهل لك في بعل لا تذم خلائقه ولا تخاف بوائقه قال فأطرقت طويلاً ثم قالت:

كنا كغصنين في ساق غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات

فاجتث خيرهما من أصل صاحبه دهر يكر بفرحات وترحات

وكان عاهدني إن خانني زمن أن لا يضاجع أنثى بعد مثواتي

وكنت عاهدته أيضاً فعاجله ريب المنون قريباً مذ سنيات

فاصرف عتابك عمن ليس يردعها عن الوفاء خلاب بالتحيات

(ابن طيفور، ص:58)

(1) وجاء سندها كالاتي:«حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ الْمَرْوَزِيُّ، عَنِ ابْنِ أَحْمَدَ النَّحْوِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ، إِذْ بَصُرْتُ بِامرأة مُتَبَرْقِعَةٍ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ...،الخرائطي: أبو بكر، اعتلال القلوب. ج-1 ص: 77(حديث رقم:131 وهو حديث مقطوع)

(2) انظر تفصيل ذلك عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج-9 ص:255

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 111 2/8/17 10:06 AM

وبعيداً عن روايات العشق التي يكثر فيها الفحش والمجون، نقف عند السياق نفسه رحلة الحج والجارية الجميلة الفصيحة الشاعرة: «قال الأصمعي، قال أبو عبيدة: رأيت بطريقي إلى مكة أعرابية تبيع الخوص لم أر أجمل منها قط، فوقفت أنظر إليها متعجباً من جمالها، إذا أقبل شيخ فقير فأخذ بأذنها فسار بها، فقلت من هذا؟ قالت: زوجي، قلت: كيف يرضى مثلك بمثله؟ قالت: إن له قصة، ثم أنشدت:

أيا عجباً للخود يجري وشاحها تزف إلى شيخ من القوم تنبال

دعانـــــي إليه أنه ذو قرابة فويل الغواني من بني العم والخال»

(أبو حيان التوحيدي.ج-9ص:13).

ومن هذا أيضاً:« قال حدثنا عثمان ابن طالوت قال حدثنا الأصمعي قال: دخلت البادية فرأيت جارية من أحسن الناس وجها تحت أقبح الناس وجها فقلت لها: يا هذه كيف رضيت مع جمالك أن تكوني تحت أقبح الناس وجها؟ فقالت: يا هذا بئس ما قلت! فلعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه. أو أنا أذنبت فيما بيني وبين ربي فعاقبني به. أفلا أرضى لما رضي الله لي؟ قال فأسكتتني» (الزجاجي، ص:20). لعل التهافت في هذه الرواية وفي التي قبلها واضح، ويظهر فيها الحجة المفلقة التي يجعلها الأصمعي عنوانا لفصاحة الأعراب. ثم إن الغريب في هذه السياقات أن يعترض إنسان امرأة لا يعرفها فيسألها كيف قبلت بزوجك هذا، بل كيف يسمح زوجها بذلك؟ فهو من جهة المعقول لا يمكن إلا إذا كان السائل بليدا ثقيلا فضوليا[1]. وسأكتفي بهذا الجانب بما تقدم وقد تركتُ الكثير من الروايات المشابهة لغلوها في الفحش والمجون. إذ تدور حول المفهوم الحجاجي للفصاحة.

(1) ومن هذه الروايات:«قال الأصمعي: رأيت أعرابية بالنباج فقلت لها: أتنشدينني؟ فقالت: إني لأنشد وأقول، فقلت: فأنشديني، فقالت:

لا بارك الله فيمن كان يخبرني أن المحب إذا ما شاء ينصرف

جد المحب إذا ما بان صاحبه وجد الصبي بثديي أمه الكلف

فقلت : فأنشديني من قولك، فقالت:

بنفسي من هواه على التنائي وطول الدهر مؤتنف جديد

ومن هو في الصلاة حديث نفسي وعدل الروح عندي بل يزيد»

أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر: ج-6ص:24، والأبيات يرويها الجاحظ لأحد الأعراب من غير إسناد الرواية للأصمعي: انظر: الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص:186

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 112 2/8/17 10:06 AM

خاتمة:

تبيّن لنا مما سبق أن ظاهرة الروايات الأصمعية يشوبها الكثير من غير المعقول عند تفحصها بمعيار النقد الواقعي، وليس هذا منحى الدراسة. ولكن الأساس الذي بُنيت عليه هو إظهار أن للاستكثار من الروايات مرجعياتٍ حجاجيةً تلتحق بغيرها من ردود الكتاب والعلماء على مزاعم الشعوبية، غير أن الجديد هو أسلوب الأصمعي -أو من نسبوا إليه الروايات- الذي اختير للدفاع وهو نقل الردود على ألسنة الأعراب أنفسهم لتوضيح الحقيقة. وهذا الأمر جعله يحتاج إلى نصوص كثيرة لترسيخ حججه من أجل جعلها علامةً ثابتةً وليست مجرد ادعاء. وقد نقل الأصمعي هذه الإيديولوجية بطريقة لا تُشعر بالتعصّب، من خلال عنايته بمفهوم الفصاحة عند الأعراب ذلك المفهوم الذي ينطلق فيه من قوة الحجاج وإقناع المخاطب وتبكيته في أوجز مقال، والتعبير عن الموقف أو الحالة أو السؤال بما لا يدع للمقابل فرصةً لتقوية رأيه. وكل الروايات تمت فيها المحاورات كان الراوي يمثل دور المغلوب المتعجب في حواره، بينما تبرز شخصية الأعرابي المحاور وقد قطعت على الراوي كل حجة. الأمر الذي يظهر من جهة أخرى عناية الأصمعي بالمعنى وقوته وغرابته ودقته على حساب المظهر اللغوي السلس. وكل الروايات التي وصلتنا تذهب نحو تأكيد هذا السمت عند العرب عموما، والأعراب على وجه الخصوص. وسواء أكانت الروايات صحيحةً أم غير صحيحة فإنها تسير في مفهوم الأصمعي للفصاحة. ولولا أن مساحة الدراسة محدودة لطرحنا كمّا كبيرا من الروايات التي لا يجد القارئ مشقةً في رد كثير منها وإظهار تهافتها.

وقد كان هدف الدراسة يسير في خطين رئيسين هما: تضعيف كثير من الروايات المنسوبة للأصمعي، ثم إظهار السبب الحقيقي الذي استدعى وجود هذه الروايات أو (المحرك التاريخي). وقد بينت الدراسة العلل الحقيقية التي تضعف الرواية وكانت العلل محصورةً في نمطين الأول محاولة تقصي الرواية في أكثر من مرجع وترجيح المعقول منها. والنمط الثاني: هو قياسها على سياق الواقع ومحاولة إظهار المعقول فيها من غيره. وقد أثبتت الدراسة أن كثيرا من هذه الروايات غير معقول عرفا مع عدم استحالة إمكانه. كما بيّنت الدراسة الخلفية الحقيقة التي حدت بالواضع أن يضع هذه الرواية أو ينسبها.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 113 2/8/17 10:06 AM

قائمة المصادر والمراجع:

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، (دت) المستطرف في كل فن مستظرف، (ط2) بيروت، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية.

ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله، (1998م) شرح نهج البلاغة، (ط1) بيروت، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، أبو الفرج التيمي، (1982) أخبار النساء، (دط)، بيروت، شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة.

ابن الجوزي، أبو الفرج التيمي، (1381هـ) ذم الهوى، (دط)، القاهرة، تحقيق: مصطفى عبد الواحددار الكتب الحديثة.

ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي، (1975)الثقات. (ط1) تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر.

ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، (1379هـ) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (دط)، بيروت،تحقيق: أحمد بن علي، دار المعرفة.

ابن حمدون، بهاء الدين البغدادي، (1417) التذكرة الحمدونية، (ط1) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.

ابن الخطيب، قاسم الأماسي، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1423هـ.

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.

ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401 هـ.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، (1908م) بلاغات النساء، (دط) ، القاهرة، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (دت) التحرير والتنوير، (دط)، القاهرة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ 2000-م.

ابن عبد ربه الأندلسي، طبائع النساء، مكتبة القرآن.

ابن عبد ربه الأندلسي، (1404هـ)العقد الفريد، (ط1) ، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن العديم عمر بن أحمد العقيلي، (دت). بغية الطلب في تاريخ حلب، (دط) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر،

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (دط) (دت).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1418هـ) عيون الأخبار، (دط) بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1398هـ) غريب القرآن، ، (دط) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، (1992) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (دط) بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي . (1966م)البداية والنهاية، (ط1) ، بيروت، مكتبة المعارف.

ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، (1994م.) تفسير القرآن العظيم، الطبعة الجديدة تحقيق: محمود حسن، دار الفكر.

ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد (2008م) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (ط1) ، دمشق، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر.

ابن منظور، الأنصاري الإفريقى، (دت) لسان العرب، (ط1) بيروت، دار صادر.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 114 2/8/17 10:06 AM

ابـن منظـور الأنصـاري الإفريقـى، (1298هـ) نثـار الأزهـار فـي الليـل والنهـار، (ط1) مطبعـة الجوائـب، القسـطنطينية.

ابـن هبـة الله، أبـو القاسـم علـي بـن الحسـن الشـافعي(1995)، تاريـخ مدينـة دمشـق وذكـر فضلهـا وتسـمية مـن حلهـا مـن الأماثـل، (دط). بيـروت، تحقيـق: محـب الديـن عمـر بـن غرامـة العمـري، دار الفكـر.

أبـو العـلاء المعـري، أحمـد بـن عبـد الله التنوخـي، (2001م) رسـالة الغفـران، (دط) بيـروت، تحقيـق: علـي حسـن فاعـور، دار الكتـب العلميـة.

أحمد زكي صفوت(دت)، جمهرة خطب العرب(دط)، بيروت المكتبة العلمية.

أسامة بن منقذ، (1987 م) لباب الآداب، (ط2) القاهرة، تحقيق :أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة.

الأصبهانـي، أبـو بكـر محمـد بـن داود،) 1985 م (الزهـرة، (ط2) الزرقـاء .الأردن، تحقيـق: إبراهيـم السـامرائي ونـوري حمـودي القيسـي، مكتبـة المنار.

الأصفهاني، أبو الفرج، (دت) الأغاني، (ط2) بيروت، تحقيق : سمير جابر، دار الفكر.

الأصمعـي، عبـد الملـك بـن قريـب الباهلـي، (1993م) الأصمعيـات – اختيـار الأصمعـي، (ط7) مصـر، تحقيـق: احمـد محمـد شـاكر وعبـد السـلام محمـد هـارون، دار المعـارف .

الأنطاكي، داود الضرير، (1993) تزيين الأسواق، (ط1) ، بيروت. تحقيق:محمد التونجي، عالم الكتب.

البسـتي، محمـد بـن حبـان أبـو حاتـم، (1977م) روضـة العقـلاء ونزهـة الفضـلاء، ، (دط)، بيـروت، تحقيـق : محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد، دار الكتـب العلميـة.

البكـري، عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد، (1997م.)اللآلـي فـي شـرح أمالـي القالـي، (ط1) بيـروت، تحقيـق: عبـد العزيـز الميمنـي، دار الكتـب العلميـة .

التنوخـي، المحسـن بـن علـي، (1398هـ) الفـرج بعـد الشـدة، (دط) ، بيـروت، تحقيـق: عبـود الشـالجي، دار صـادر.

التوحيـدي، أبـو حيـان علـي بـن محمـد، (1999م) البصائـر والذخائـر، (ط4) بيـروت، تحقيـق: وداد القاضـي، دار صـادر.

الثعالبـي، أبـو منصـور عبـد الملـك، (1901) المنتحـل، (دط) الإسـكندرية، تحقيـق: أحمـد أبـو علـي المطبعـة التجاريـة.

الجاحـظ، عمـرو بـن بحـر، (1410هـ) البرصـان والعرجـان، (ط1) بيـروت، تحقيـق: عبـد السـلام هـارون، دار الجيل.

الجاحـظ، عمـرو بـن بحـر، (1968)البيـان والتبييـن. (ط1) بيـروت، تحقيـق : المحامـي فـوزي عطـوي، دار صعـب.

الجاحظ، عمرو بن بحر، (1423 هـ) المحاسن والأضداد، (دط) بيروت، دار ومكتبة الهلال.

الحسـيني السـراج القـارئ، (1998م) مصـارع العشـاق، (ط1) بيـروت، تحقيـق: محمـد حسـن محمـد حسـن إسـماعيل، أحمـد رشـدي شـحاته، دار الكتـب العلميـة.

الحلبـي، صفـيّ الديـن، (1997) أنـس المسـجون وراحـة المحـزون، (ط1) بيـروت، تحقيـق: محمـد أديـب الجـادر، دار صـادر.

الحميـدي، محمـد بـن أبـي نصـر الأزدي، (1995) تفسـير غريـب مـا فـى الصحيحيـن البخـاري ومسـلم، (ط1) القاهـرة ، تحقيـق: زبيـدة محمـد سـعيد عبـد العزيـز، مكتبـة السـنة.

الخرائطـي: أبـو بكـر محمـد بـن جعفـر، (2000م) اعتـلال القلـوب، (ط2) الريـاض، تحقيـق: حمـدي الدمـرداش، نـزار مصطفـى البـاز، مكـة المكرمـة.

ديك الجن، عبد السلام بن رغبان مطلوب ، (1964م) ديوان ديك الجن، (دط) دار الثقافة والنشر والتوزيع.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 115 2/8/17 10:06 AM

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (دت) ميزان الاعتدال، (دط)، بيروت ، تحقيق علي محمد البجاوي المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر .

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (1420هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (ط1) بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .

الزجاجي، أبو القاسم(1980م)، أخبار أبي القاسم الزجاجي، (دط) بغداد تحقيق:عبد الحسين المبارك، دار الرشيد.

الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، (1412هـ) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، (ط1) ، بيروت، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي.

الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، (1998م) المزهر في علوم اللغة، (ط1) بيروت، تحقيق: فؤاد علي، دار الكتب العلمية.

الشرواني، أحمد بن محمد الأنصاري، (1960م) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، (ط1) مصر، مطبعة التقدم العلمية.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، (دط) 1960.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (2000م) الوافي بالوفيات، (دط) بيروت، حقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث .

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (1936) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، (دط)مطبعة الصاوي.

العباسي، عبد الرحيم أبو الفتح، (دت). معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، (دط) تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت.

العسكري، أبو هلال(دت)، ديوان المعاني، (دط)، دار الجيل - بيروت .

العلويّ، يحيى بن حمزة، (1423 هـ)الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ، ط1 تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية، بيروت.

الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي، (1414هـ) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ط2، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت.

القاسمي، جمال الدين (1418 هـ)، محاسن التأويل، ط1، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلميه، بيروت.

القالي، أبو علي (1926م)، الأمالي، ط2، عني به: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (1964م) الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (دت) النكت والعيون (دط) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

المبرد، أبو العباس، (1997م.) الكامل في اللغة والأدب، ط3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة.

المرزباني، أبو عبيد الله، (1995 م) أشعار النساء، ط1، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر.

المزي، يوسف بن الزكي، (1980) تهذيب الكمال، ط1، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 116 2/8/17 10:06 AM

المسعودي، علي بن الحسين، (1409هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دط)تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة – قم.

مسلم، بن الحجاج النيسابوري، (دت) صحيح مسلم، (دط) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المعافى بن زكريا، أبو الفرج النهرواني، (2005 م) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ط1، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

المفضل بن سلمة، أبو طالب، (1380هـ) الفاخر، ط1، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي

ناصر الدين الأسد، (1988) مصادر الشعر الجاهلي، ط7، دار المعارف بمصر،

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (2004.) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت.

النيسابوري، أحمد الثعلبي، (2002م) الكشف والبيان، تحقيق:أبي محمد بن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الوشاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، (1953م) الموشى -الظرف والظرفاء، ط2، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر - مطبعة الاعتماد.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 117 2/8/17 10:06 AM

Al- Asmai Narratives:

A Critical Study in Authenticity and Referentiality

Fayees Maddallah Althunibat

Faculty of Art and Humanities - Jazan University

Jazan - KSA

Abstract:

This paper deals with the phenomenon of Al-Asmaʿi's narratives through a contextual method that explores his referentiality in the many narratives that are attributed to him and which are scattered in hundreds of references. Some of these narratives appear to be false from an initial examination because of many unreasonable repetitions. The so-called "eloquence" of the Bedouins, which are attributed to Al-Asmaʿi, were used to refute the arguments of the Populists—the Persians who believed that the Arabs are not preferred over other nations and nationalities. Many of these narratives are to be weak to be accepted or they seem to be made to suit a particular context.The paper reaches the conclusion that Al-Asmaʿi favored the narratives that support his conception of eloquence; even the jokes and anecdotes that he narrates are the ones that conform to his criteria of eloquence.

Keywords: Asma'i narratives, literary criticism, narratives, eloquence, references.

□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 118 2/8/17 10:06 AM